مجلة العلوم الإنسانية
SUST Journal of Humanities
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

الجنون وإبداع الفنان التشكيلي

حسن إدريس موسي الذ * ، مصطفى عبده محمد خير

. البريد الإلكتروني :Hgood005@gmail.com
! . جامعة النيلين – كلية الآداب

المستخلص :

هد ت الدراسة إلي التعرف على العلاقة بين الجنون والإبداع في الفن_، تأتي أهميتها في المساهمة لتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة عن سلوك الفنان التشكيلي ، حصرت الفرضيات في أن الأعمال الفنية تنتج من خلال توظيف كل قدرات العقل ، واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي ، مشكلة الـ راسة ركزت حالة الربط الدائم بين الفنون والجنون في المجتمع السوداني ، توصلت الدراسة إلى نتائج مستلهمة من تحليل المضامين والأفكار : الفنان المبدع يتميز بشخصية لديها حساسية عـ ية بالأحداث من حو له ، لقد أخطاء بعض علماء النفس الأوائل في الربط بين بعض المظاهر ا فنية والمرض النفسي (الجنون) ، لا حقيقة لمقولة أن ا الذ ون جنون) فالجنون هو ذهاب العقل بينما الـ ون تتطلب حضور العقل كلياً والفنان المبدع ينتج أفضل أعماله وهو في أحسن حالاته الصحية والنفسية ، لا توجد نتائج لدراسات علمية أثبتت العلاقة السببية بين إبداع الفنان والجنون ، أوصت الدراسة بمزيد من الدراسات في تفسير بعض سلوكيات الفنان التشكيلي المبدع .

الكلمات المفتاحية : الإبداع الفني ، اللاشعور ، الفن التشكيلي .

Abstract:

This study aims to identify the relation between Art creation and madness. This saying contributes to correct some wrong concepts about the behavior of the fine artist .The hypnoses are limited to, the artistic works result from employing all mind capabilities. The study has adopted the analytical and descriptive approach. The problem of the study has focused on the continuous connection between art and madness in Sudanese society. The study has reached results from analyzing the substance and ideas. The innovative artist is characterized by high sensitive character of the events around him. Early psychologists made mistake in connecting some artistic aspects and the psychological disease (Madness). The saying (Art is Madness) is not correct. Madness means the absence of mind while art requires the presence of mind completely. The innovative artist creates the best of his work while in his best psychological and health state. There are no results for scientific studies prove the causality relation between the creativity of the artist and madness. The study has recommended for moor studies to interpret some behaviors of the innovative fine artist.

Keywords : Artistic Ccreativity , Subconscious , Fine Art .

المقدمة :

أن الفن حاجة ضرورية للإنسان منذ نشأته للتعبير عن ما يرى من ظواهر في حيـ ته اليومية وقد تجسد على شكل (رسم ، نحت ، شعر ، الخ) وهو ظاهرة معقدة ومتعددة الماهية ، والقيمة الفكرية للفن اليوم تستند على فهـم مرجعيـات العلاقات المكونة له والتي تشكل محيط الفنان وتمكنه من نسج مجموعة مركبة من التصورات الذهنية فـي صـورة موضوعات فنية تتمتع بقيم مفاهيمية عالية فضلاً عن القيمة الجمالية .

فقد شكلت ـ لاقة الربط بين الفن والجنون تاريخياً متنوعاً منذ القدم ، فهي امتداد للفكرة اليونانية القديمـة عـن الفنـان والشاعر بأنهما في حالة من التلبس والجنون ، أن (أفلاطون) قد أشار إلي ذلك صراحة في محاورة (أيون) حيث يقول سقراط للشاعر (أن هناك شيطاناً يحركك وأنك لست بالص نعة الفنية تشدو بل بقوة شيطان الشـعر) (إبـراهيم،002، ص6) .

إشارة بعض علماء النفس الأوائل مثل (فوريد) إلى وجود رابط بين بعض المظاهر الفنية والإبداعية وبعـض أشـكال الجنون وأن هناك علاقة طردية بينهما ، وعلى الرغم من التقدم العلمي الذي أحرزته العلوم الطبية عاماً وعلم الـنفس خاصةً ، فما زال كثير من الناس يتبنى تصوراً خرافياً في تفسيره لهذه العلاقة بين الفن والإبداع والجنون ، و(الفنـون جنون) جملة متداولة اليوم بكثرة بين الناس حتى وسط المثقفين عند الحديث عن الفن والفنان التشـكيلي علـى وجـه الخصوص ، وقد رسخها ارتباط سماء بعض الفنانين أمثال (فان جوخ) ببعض الاضطرابات النفسية والسلوك الغريب ، ونجد أن هذه المقولة المتداولة قد ألقت بظلالها السالبة على الفنان التشكيلي ونظرة المجتمع له ، على الرغم من أنـه إنسان له مجموعة من القدرات والملكات الشخصية الخاصة و التي تميز ه عن غيره من الناس .

تمثل هذه الدراسة إطاراً نظرياً وصفياً في أسلوب تحليلي بالتعريف إلى الإبداع في إنتاج الفن التشكيلي وعلاقته بالسلوك الشخصي للفنان وربطه بالجنون وتداعيات ذلك على المجتمع .

مشكلة الدراسة:

ركزت مشكلة الدراسة علي الآتي :

- الربط الدائم بين ا نون والجنون في المجتمع السوداني .
- رغم التطور في مجال العلوم الحديثة والفلسفة ظلت النظرة لإنتاج وسـلوك الفنـان التشـكيلي فـي السودان كما هي (سالبة) ولم تأخذ قسطاً من الدراسة عملية .

أهداف الدراسة:

من أهم أهداف هذه الدراسة :

- التعرف علي مدى ارتباط الإبداع في الفن التشكيلي بالسلوك الشخصي للفنان .
- توضيح أن اللاشعور وحده لا يمكن أن ينتج عملاً فنياً ذا قيمة إبداعية .

أهمية الدراسة

تتمحور هذه الدراسة في الآتي :

- فهم ماهية الفن والإبداع والعملية الإبداعية في الفنون التشكيلية .
- إلقاء الضوء علي بعض المشكلات الناتجة عن مقولة (الفنون جنون) والمساهمة في تصـحيح بعـض المفاهيم المغلوطة من خلالها عن الفن وسلوك الفنان التشكيلي .

ـ الاستفادة مما توصل إليه العلم الحديث في فهم أساليب إنتاج الفنون التشكيلية وإدراكها .

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة لتحقيق أهدافها علي المنهج الوصفي التحليلي .

فرضيات الدراسة:

ـ أن الأعمال الفنية تنتج من خلال توظيف كل قدرات العقل .

ـ أن الفن التشكيلي انعكاس للطبيعة الإنسانية وتطورها .

حدود الدراسة:

ـ الحد الزماني : أجريت الدراسة في العام 017! م .

ـ الحد الموضوعي : مجال الفنون والإبداع .

أدوات الدراسة:

ـ الكتب والمراجع الأولية والثانوية .

مصطلحات الدراسة:

التعبير الفنـــي : التعبير اصطلاح انتشر استعماله بدلالاته اللغوية في بداية ظهور المـــذاهب الفنيـــة الحديثـــة بصورة عامه ، ويعني الظواهر الخارجية للمشاعر الـ اخلية ، والتعبير الفني وســـيلة أو أسلوب للتواصل مـــن خلال القيم والعناصر الفنية .

التشكيل : أسلوب بناء وتنظيم يصوغه الفنان ليعبر به عن عمله الفني في المضامين والبنائية والمفاهيم .

مفهوم الجنون:

جنون مفردة شائعة الاستخدام وهو في لغة اشتقاق من الفعل الثلا ي جنر) وله معاني كثيرة منها الستر، قال الله تعالى (فلما جن الليل رأى كوكباً) (سورة الأنعام،الآية !) بمعنى ظلمة الليل الساترة ، جنا الشيء أي ستره ويطلق على الولد في بطن أمه جنين لأنه مستور والمجنون من ستر عقله ، وأيضاً ويطلق الجنون علي كل أمر يدل علي المكـ ثرة وعظيم الأمر بحيث يثير عجب ناظره مثل جن الطير أي كثـ (لسان العرب، 955 ، ص15ز ،16ز) ، والجنون هو خلل في العقل يؤدي إلى انحراف تصرفات الإنسان القولية والفعلية عن النهج القويم ، وعدم القدرة علي فهم الخطاب والتمييز والاستدلال (أبوجيب،408 ، ص58!) ، أن علماء نفس يعتبرون المرض النفسي والمرض العقلي مظهران من مظاهر الشخصية البشرية (عوض،980 ، ص85.) ، وهما محصلة سوء توافقهما مع المجتمع كنتيجة لوجود صراعات داخلية وتصدع في العلاقات ، عند علماء الأصول الجنون آفة في الدماغ تبعث صاحبه علي الإقدام علي ما يضاهي العقل ، فـ لجنون يمثل العجز المطلق في التحكم على الذات (بحر العلوم،400 ، ص5.)، ونجد علي مدى قرون وحتى ظهور طب الأمراض العقلية والنفسية في مطلع القرن التاسع عشر ظل هناك تضارب في تعريف كلمة (الجنون) وكان في الغالب متأرجحا بين اتجاهين يحمل كل منهم معنى مختلفا، فيميل أ دهما إلى الاتجاه الأخلاقي بمعناه الفلسفي والآخر إلى الاتجاه الطبي ، نجد أن مفردة جنون لم ترد إطلاقاً في بحاث الطب النفسي الحديث ، لا في علم النفس ولا في تطبيقاتهما العلمية والعملية (كيتيل،015 ، ص!) ، وتشهد المعاجم الفلسفية الحالية في العصر الحديث . لى غموض هذه الكلمة (الجنون) كما لو كان هناك تردد حيال وجوب ورود الكلمة أساساً في القاموس (كيتيل،015 ، ص0) ، فالطب اليوم ينظر إلي (الجنون) بأنه مرض عضوي ناجم عن اضطراب في وظيفة أو بنية

الدماغ ، وعلماء النفس يعتبرونه نتيجة لوجود صراعات داخلية وتصدع في علاقات الشخصية فتورث خلل في السلوك .

مفهوم الفن والتعبير الفني :

أن الفن ظاهرة معقدة وتتعدد ماهيته ووضع معايير واضحة ومحددة له تعد مسألة في غاية الصعوبة ، فهناك العديد من الآر ء والنظريات المتباينة التي تدور حوله ، والقيمة الفكرية للفن تستند على فهم مرجعيات العلاقات المكونة له والتي تشكل محيط الفنان وتمكنه من نسج مجموعة مركبة من التصورات الذهنية على صورة موضوعات فنية تتمتع بقيمة مفاهيمية عالية فضلا عن القيمة الجمالية والتي تعتمد على الشكل واللون ، قد عرّف ليون تولستوي) الفن بعيداً عن التصورات لتي تدور حول فكرة الجمال ، فهو يرى أن الفن ليس مجرد تعبير وإنما هو توصيل للانفعالات ، كما هو الحال في اللغة ، وفي الوقت الذي تقدم فيه اللغة الأفكار يقدم الفن الانفعالات والعواطف بين أفراد المجتمع بواسطة الألوان ، فهو إذن نوع من اللغة (إسماعيل 974 ،ص 0!) ، ن (سيجموند فرويد) عرف الفن علي أنه شكل من أشكال تحرير الغرائز بواسطة الرمز ، ونجد أن الفن بهذا المفهوم يحول العمل الفني إلي مجموعة من الرموز والتي يتوقف تفسير مغزاها علي ما تحتويه من لازمات الخيال الشكلية واللونية ، فإن التحولات التي حدثت في هيئة الفن وطبيعته هي تحولات منطقية ومعاصرة للمرحلة الزمنية للفن (عطيا 996 ، ص ؛) ، فكل عصر جاء بفن يتناسب مع معطيات الزمان والمكان الذي ظهر فيه فطبيعة الفن في عصر النهضة قد اختلفت عنها في عصر العلم ثم في عصر الفضاء والتقدم التكنولوجي الحالي ، كما يتضح أن الفن ليس مجرد عكاسات أو تكرار لحقائق جاهزة ووقائع موجودة سلفاً فحسب ، بل هو اكتشاف لحقائق جديدة ، إن من شأن الفن أن يصنع ما عجزت الطبيعة عن تحقيقه فعمل الفنان لا ينحصر في إمدادنا بصورة مكررة لما يحدث في الطبيعة وإنما في العمل على التغيير من طبيعة الطبيعة ، ينفي جورج وكاتشر) أن يكون الفن تسجيلاً للواقع أو لجزئيات الواقع لأنه نفاذ لما وراء الواقع ، إنه ينفذ من السطحي إلى الجوهري ومن المظهر إلى الحقيقة ومن الجزئي إلى الكلي أو الشمولي مجاهد 997 ص 6!) .

أن الفن هو خلق للحياة الشاملة وإبداع للذات الجمالية الأوسع نطاقاً من الذات الطبيعية ، وكلمة فن تشمل شتى المجالات الإبداعية للإنسان ويتفاوت مستواه وفقاً لأيدلوجيات الشعوب من مستوى فكري وعلمي وثقافي وتقني ووجداني واجتماعي ، ونجد أن الفن ليس واقعة تقبل القياس ، لا يمكن رده إلى مجموعة من الظواهر أو الأشكال ، الفن بجميع أشكاله وتصنيفاته هو إرث مشترك يتقاسمه الفنان والمتلقي ، ويشكل عطاء واسعاً مترامي الاتجاهات ، فهو يوفر لممارسيه تلك المساحة الحرة التي يطلقون فيها خيالاتهم وإبداعاتهم ، كما أنه قناة للتواصل وسلسلة تربط الفنان بروابط وجدانية قوية تنبثق من المعرفة مروراً بالقيم م تهية بالمهارة التي ينتج عنها الفن ، ونجد أن الفكرة وحدها لا تكفي لخلق عمل الفني بل لابد من تقديم الفن كواقع وكفعل لتتحقق سمته الأصيلة بوصفه عملية خلق يقوم بها ا فنان ، ونرى أن الفن في طبيعته هذه يتضمن كلا الشرطين الفكري والعملي مـــن السلوك الإنساني ، وقد نال الفن اهتماماً كبيراً كغيره من المجالات في العصر الراهن ، نظراً لأنه يعمل على تنمية الحس البصري والإدراكي الذي يبنى على المعرفة والثقافة والقيم .

أن الإنسان القديم قد عبير عن نفسه من خلال رسوم الكهوف التي خلفها ، حينما أراد محاورة الطبيعة وما موجود فيها من بشر وحيوان ، وتعد هذه الرسو ات شاهداً من شواهد التعبير الإنساني آنذاك وقد خرج فيها أحاسيســه المكبوتــة داخل النفس لتجد متنفساً لها في هذا التعبير الفني والذي لم يمثل نقلاً مباشراً من الطبيعية ، بل أستثمر هــذه الصــورة والمشاهد مما أوحى له بأفكار قد هض مها وأضاف إليها إحساسه وشعوره ، ثم صاغ هذه الأفكار صياغة جديدة مبتكرة

معتمداً على تجاربه وخبراته الفنية التي تداولها، فجاءت أعماله التعبيرية قوية وصادقة تمتاز بتكوينها الفني والجمالي ، نجد أن الفنان البدائي حينما عبر عن انفعالاته وعن أحاسيسه وشعوره بالنسبة للثور ، ذلك الحيوان الذي كان يخشاه ويأبى مواجهته وعند رسم هذا الثور في الكهوف التي يسكنها نلاحظ أن هناك مبالغة في رسم مقدمة الثور مقارنة بباقي الجسم ، ليعبر عن قوة هذا الحيوان وصعوبة السيطرة عليه .

أن التعبير الفني قدرة عقلية ذاتية خاصة مر ب من عدة قدر ت بسيطة تتجمع فيها أساليب النشاط الذي يتعلق باستخدام العناصر الفنية من شكل وخطوط ، مساحة وملمس في علاقات تحكمها القيم الفنية من اتزان وإيقاع وحركة ووحدة وتناسب ، أن التعبير الفني ضرب من النشاط تجمع فيه الأفعال التي كانت تؤدى تلقائيًا منفصلة بعضها عن بعض كي تحول مواد خام إلى أعمال فنية ولا يكون ثمة تعبير أو فن إلا إذا استعملت المادة أو العناصر كوسائط (ديوي 963 ، ص 29) ، فالفن التشكيلي مظهر من مظاهر التعبير عن فهم الواقع والتعامل معه (العطار 000 ، ص 49) ، وقد كان الفن محاولات البشرية الأولى لتفسير كنه الأشياء التي تعجز الحواس عن إدراكها ، والتعبير غريزة موجودة لدى الناس بشكل فطري ويظهر إلى حيز الوجود من الذات الإنسانية ، والتعبير عموماً هو الإظهار الخارجي لمشاعر الداخلية ، وهنا يجب أن نفرق بين التعبير والتعبيرية ، فالتعبيرية هي اتجاه (مدرسة) في الفن يتقصى لذات ، وليس لها فهما غير هذا ، أما التعبير في العمل الفني هو محصلة تفاعل الفكرة ، فلا تعبير دون ما هو فكري ، ولا تعبير دون رؤية ناشطة في استنطاق الخامات ولا تعبير فني لا بتفاعل ذلك كله مع مكونات العمل المنجز ، أن الفن يبدأ بالحافز الجمالي وثمرة هذا الحافز هو التعبير الفني ، وهو ذلك الفعل الذي يسلط الضوء على أسرار ومكونات الموضوع ، وقد يراد لهذا الإيضاح أن يكون مؤثراً فيقدم على شكل عمل فني (لوحة ، قصيدة ، مسرحية) ، وهو الرابط الحي بين الفنان وإنتاجه كما هو مركز أشعاع لعملية الإبداعية في العمل الفني (سويف 69 ، ص 11) ، التعبير الفني هو لغة تحمل نسقاً فريداً لا يحاكي أبعاد الواقع الملموس ، بل يكشف لنا عن بعده الوجداني بنسق جمالي محدد يفسر العملية الإبداعية من خلال معايشة التجربة الفنية (نظمي 985 ، ص 29) .

أن كل عمل فني يستجيب له الفنان إلا وله صول نفسية بمعي وجود باعث أو مثير يثير الفنان ويؤدي إلي انفعاله ، فالتعبير الفني هو خلاصة الانفعالات والأفكار والتي تجسد في وسط مادي يتخذ شكلين أحدهما ابتكاري والأخر تقليدي آلي (نقل) ، ففي الشكل الأول للتعبير يكون الفنان مبدعاً مبتكراً متجدداً يتخذ الواقع أساساً له ، كن بصياغات جديدة تعتمد على قدرات ابتكاريه في تحليل عناصر الشكل الواقعي ، ومن ثم أعادة تركيبها في صور جديدة ، الشكل الثاني للتعبير الذي يعتمد على النقل الحرفي والآلي للواقع والذي كان في فترة من الفترات معياراً في تقييم الفنان ، فكلما كان الفنان قريباً ومحاكياً للواقع كان عظيماً ، ونجد أن الفنان التشكيلي عندما يعبر ليس بالضرورة أن يكون تعبيره شبيهاً بحياته التي يعيشها ، فأحياناً نرى في أصعب الظروف وأقساها ينتج فناً عظيماً ولا علاقة له بالظروف التي يعيشها الفنان ، وهناك فنوناً تعبيرية في غاية الإبداع لأناس يهمون بالتفكير التأملي والميتافيزيقي وهذا لا علاقة له بالحياة الواقعية بل بالتجربة الروحية للفنان ، أن الفنان لا يستنتج ولا ينقل الموضوع بل يقدمه من خلال مرشحات عديدة بعلاقات تشكيلية وجمالية وقد توحي لنا بعض ها أن للفنان في إنتاجه الفني حركة موازية لها في القوة والاتجاه بداخل الفنان ، ولكنها إيحاءات ليست إلا ، لذا يجب أن نفرق بين حياة الفنان التي تمثل أحداناً كثيرة وإنتاجه الفني ، فليس دائماً يعبر عن ذاته بل عن وجدان المجتمع ، ولكن يبقى العمل الفني في مجملة فردياً ذاتياً ، نفتحاً على المجتمع (الحميد 987 ، ص 10) ، فالفنان الحقيقي يجب أن يعرف ويفهم كل ما يشغل ويقلق تفكير معاصريه فهو لا يستطيع أن يقف موقفاً لا مبالياً من نبض الحياة الاجتماعية .

مفهوم العملية الإبداعية في الفن:

لقد شغل مفهوم الإبداع العديد من الباحثين والدارسين على مر العصور ، وأن فلاسفة الفن ، الجمال لهم اتجاهات مختلفة في تفسير عملية الإبداع الفني ، لقد ظهرت مشكلة الإبداع الفني في الفلسفة منذ زمن بعيد حيث تناولها كل من (سقراط وأفلاطون وأرسطو) والفلاسفة من بعدهم في فترات متلاحقة ومتعاقبة بإسهامات مبتكرة وأصلية لتقدم تفسيرات جديدة عل أسس فلسفية و لمية (محمد خير 999 ، ص ') ، أن الإبداع الفني نشاط يتميز بفعاليته كقوة ثقافية في مقدورها أن تدفع مستوى وعي ومشاعر الإنسان وتشكل معطيات وفقا للظروف الحضارية من ناحية ولشروط وطبيعة الشخصية المبدعة من ناحية أخرى ، والذي يمتلك القدرة على تحويل إدراكه البصري إلى تعبير فني في شكل مادي (عطيا 996 ، ص 23) ، فالإبداع الفني معالجة بارعة لوسيط من أجل تحقيق هدف ما والفنان المبدع يتمتع بتكوين نفسي متفرد وقدرات تخيلية وانفعالية خاصة تكسبه سمة الإبداع الفني ، والتي تميزه من الصانع العادي وكثيراً ما تسمى هذه السمة (موهبة) وأن الحدس والتعبير أمران متلازمان في داخل الفنان في عملية الإبداع الفني حتى قبل تجسيدهما في وسط مسموع أو مرئي أو مقروء (جرواز 007 ، ص 8ا) ، وتشير أن عملية الإبداع في جوهرها ليست سوى ضرب من ضروب التحرر من قيود الزمان والمكان وهي تجديد لما هو في سلوك الناس وأفكارهم والمبدع من يستفيد من الماضي ولكنه ليس أسير له (عواض 000 ، ص 30) ، أن معرفة عملية الإبداع الفني لا تتم إلا من خلال إدراك نظرية الإلهام ، والنظرية العقلية ، والنظرية السيكولوج ة (محمد خير 998 ، ص . 0) : ــ

ا . نظرية الإلهام في الإبداع الفني .

يذهب عضهم الباحثين والدارسين إلى أن عملية الإبداع الفني مرهونة إلى لهام الفنان ، أن الفنان الحقيقي هو ذلك الذي ينتج عملاً فنياً يمليه عليه لهامه والذي تسبقه فترة من التفكير والبحث عن حل ، وقد تأتي الفكرة الملهمة فجأة وفي وقت لا يكون فيه المبدع منشغلاً بالتفكر فيها ، ، أنه ليس لدى الفنان أفكار سابقة محددة قبل نتاجه لفنه وإنما تجيئه الأفكار كلما أوغل في العمل والإنتاج ، بل إن الأفكار نفسها لا تصبح واضحة ، محددة إلا بعد أن يكتمل العمل الفني ، ويستند أصحاب هذا الرأي في ذلك على أن كثير من الفنانون المبدعون يعجزون . ن وصف العمليات الذهنية التي قادتهم إلي استبصار أعمالهم الفنية المبدعة (خليفا 000 ، ص 5ا) ، أن نظرية الإلهام ترد عملية الإبداع الفني إلى نوع من الوحي حيث أن الفنان يستلهم عمله الفني لا من شعور ظاهر أو مجتمع معين أو عقل واعي ، إنما من قوة عليا أو من وحي سماوي خارق (عبد المعطي 998 ، ص 1ا) ، نجد أن أفلاطون قد ذهب إلى أن مصدر الفن هو إلهام أو وحي يأتي إلى الفنان من عالم مثالي خارق للطبيعة والفنان رجل مُلهم يستمد فنه من ربات الفنون ، وحسب الأسطور ة اليونانية أن للإله (زيوس) تسع بنات هن ربات الفنون (محمد خير 999 ، ص .

أن هناك رأي آخر مخالف لمفهوم الإلهام حيث يعتبر الإلهام ليس شيئاً خارجياً يأتي إلي الفنان أو يتلقاه ، وإنما هو شي في حقيقته ينبع من ذات الفنان بل هو في الحقيقة تعبير عن ذات الفنان ، وعقل وخيال الفنان لابد أن يكون مهيئاً للإبداع حتى يخرج إلى حيز الوجو د الفعلي (عواض 000 ، ص 38) ، والحقيقة العلمية أن الإبداعي الفني كغيره من ضروب التفكير لابد له من دوافع تحركه وتثيره وتدفع صاحبه لبذل الجهد ، وأن العامل الوجداني أكثر أهمية عند الفنان التشكيلي من العوامل العقلية البحتة في الإنتاج الفني لأن الإبداع في الفن ناتج من ذات الفنان ومؤلف من عناصر حسية وأخرى عقلية ، أن (ريبو) أكد بأن الإلهام لا يقدم أبداً عملاً فنياً منتهياً وهو لا يحدث إلا لأولئك الذين لهم نشاط خلاق ، والذين كرسوا وقتاً وجهداً للسيطرة على الوسط الفني الذي يتخذونه أداة لهم ، كما أن هؤلاء لابد من هم عملوا بفكرهم في مشكلة ما ، يمكن أن يوضح معالمها الإلهام عندما يأتيهم (عبد الحميد 997 ، ص 54) .

ب . النظرية العقلية في الإبداع الفني.

أن القدرة على التفكير الإبداعي واحدة من أهم القدرات العقلية العليا التي يتميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات ، وقد فطن بشر لمدى أهميتها في بناء الحضارة بشقيها المادي والفكري ونظراً لتلك الأهمية فقد حظيت العملية الإبداعية باهتمام كثير من الباحثين ، أن الفيلسوف (دي لاكرو) قد نقد نظرية الإلهام في العملية الإبداعية وذهب إلى القول بأن الإبداع الفني هو جهد واعي والذاكرة العقلية لها القدرة على إنتاج أي عمل فني (نظمي 979 ، ص 11 .

تذهب هذه النظرية إلى أن الإبداع نتاج العقل ووليد الفكر و ه عمل مستنير واع يحققه عقل ناضج قد أمتلك زمام نفسه وتحققه إرادة مضاءة بنور الفكر ويقرر باسكال) أن كل عظمتنا تكمن وتنحصر في الفكر ولذلك فإن أصحاب ه ه النظرية العقلية يقررون أن كل إبداع إنما هو نتاج فكري وأن أي عمل مبدع مهما كان لا يمكن أن يرى النور إلا إذا مسته عصا العقل البشري وإلى تأمل وروية وإرادة وتصميم ، أن جيلفور) يعد من أبرز أصحاب هذه النظرية وقد ذهب إلى أن الإبداع هو تنظيم يتكون من عدد من لقدرات العقلية يمكن فسر ها إلى عدة عوامل هي ، أولاً الحساسية للمشكلات وإعادة التنظيم لان الكثير من المخترعات والإبداعات نجمت عن تحوير أو إعادة تنظيم لشيء كان موجودا بالفعل ، ثانياً الطلاقة وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار في وحدة زمنية معينة ، ثالثاً المرونة وهي درجة السهولة التي يغير فيها الشخص وجهة عقلية معينة ، ورابعاً الأصالة ويقصد بها القدرة على إنتاج الأفكار الأصيلة بوصفها عنصرا أساسيا في التفكير المبدع ، خامساً القدرات التحليلية أي تحليل المركبات إلى بسائطها ثم التركيب بينها وتنظيمها على حو جديد ومبتكر ، سادساً قدرة الفرد على التركيب في البناء التصوري ، وسابعاً التقييم فكل عمل إبداعي يتضمن تقييم خاص به (عبد الحميد 987 ، ص 77) .

ج . النظرية السيكولوج ة في الإبداع الفني.

رواد هذه النظرية يعترضون علي أن يكون الإبداع الفني شرارة ألاهية أو وحي س اوي كما لا يوافقون على أن العقل هو أساس الإبداع ، إن مصدر الإبداع في هذه النظرية هو اللاشعور الشخصي وتهتم هذه النظرية بالمقام الأول بدراسة الدوافع النفسية أي العوامل التي تدفع المبدعين إلى إنجاز أعمالهم الإبداعية ، يؤكد فرويد) أن اللاشعور هو منبع الإب ع الفني ، والفن وسيلة لتحقيق الرغبات في الخيال ، تلك الرغبات التي أحبطها الواقع بالعوائق الخارجية أو الأخلاقية ، والفنان يبتعد عن الواقع لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن غرائزه التي تتطلب الإشباع ، ولكنه يجد طريقة ثانية إلى الواقع في هذا العالم التخيلي بأن يستف د من بعض المواهب الخاصة لديه في تعديل تخيلاته إلى حقائق من نوع جديد يتم تقويمها بواسطة الآخرين على إنها انعكاسات ثرية للواقع ، وهكذا فإن الإبداع الفني لدى (فرويد) منطقة وسيطة بين عالم الواقع الذي يحبط الرغبات وعالم الخيال الذي يحققها (عبد الحميد 987 ، ص 80) ، معنى ذلك أن الفن مثله في ذلك كمثل المرض النفسي ، فهو يعود في النهاية الأمر إلى العقد المكبوتة في اللاشعور ، لأن لكليهما أصلاً عميقاً يرتد إلى الحالات العاطفية أو الخيالية للطفولة ، تبعاً لذلك فإن الإبداع الفني مظهر من مظاهر النقص أو الخطاء أو التعليل و لتبرير أو العمى الإرادي ، أما كارل يونغ) فيرى أن اللاشعور هو منبع الإبداع الفني لكنه عنده هو اللاشعور الجمعي فالفنان عنده يمثل الإنسان الجمعي الذي يحمل لاشعور البشرية ويشكل الحياة النفسية الإنسانية فالفن نوع من الدوافع الفطرية يستولي على الكائن البشري ويجعل منه أداة له (محمد خير 999 ، ص 83) ، أن (يونج) يرى أن الفنان الأصيل يطلع على مادة للاشعور الجمعي بالحدس ولا يلبث أن يسقطها في رموز ، والرمز هو أفضل صيغة ممكنة للتعبير عن حقيقة مجهولة نسبياً ، لقد اعتبر (يونج) الرموز والأحلام مادة ثرية لدراسة الفن ، لأن ا المادة التي تتجسد فيها الأنماط الأولية للاشعور الجمعي (عبد الحميد 987 ، ص 86) ، أن (يونج) مثل (فرويد)

أن النشاط الإبداعي في رأيه يراوغ دائماً من محاولة الإنسان لفهمه ، كما يمكن الشعور بالإبداع بطريقة مبهمة لكن عملية الوصول الكي إليه غير ممكنة (عبد الحميد 987 ، ص 18) .

علاقة الإبداع الفني بالجنون :

لقد اختلفت وجهات النظر عند الفنانون والنقاد والعلماء في تحديد مفهوم واضح ومحدد للإبداع ، ربما يرجع ذلك إلي أنه إنتاجاً لعملية التفكير وإرتباط هذه العملية بالجوانب المهارية والحسية والنفسية للإنسان ، أن الإنسان اسـ تهل نشـاطاته الإبداعية من خلال محاولة إدراك أغوار الطبيعة التي يحيا فيها وتشغل اهتمامه ، وقد تشكل هذا النشاط وفق أطر رمزية تعبر عن الارتباط بين العنصر البشري وما تدركه حواسه (عبيد،2005، ص12) ، لقد ظهرت مشكلة الإبداع الفنـي في الفلسفة منذ زمن بعيد حيث تناو ها كل من (سقراط وأفلاطون وأرسطو) والفلاسفة من بعدهم في فتـرات متلاحقـة ومتعاقبة بإسهامات مبتكرة وأصلية لتقدم تفسيرات جديدة على أسس فلسفية وعلمية (محمد خيـر 999 ، ص ') ، أن الإبداع الفني نشاط يتميز بفعاليته كقوة ثقافية معرفية في مقدورها أن ترفع مستوى وعي الفنان ، والذي يمتلك القـدرة على تحويل إدراكه البصري إلى تعبير فني في شكل مادي (عطية 996 ، ص 23) ، فالإبداع مفهوم من مفاهيم علم النفس المعرفي يضم سمات استعداديه معرفيـ وخصائص انفعالية تتفاعل مع تغيرات البيئة لتثمر إنتاج غير عادي أو هو مزيج من القدرات والاستعـ دات والخصائص الشخصية والتي إذا مـ وجدت بيئة مناسبة يمكن أن ترتقي بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتائج وابتكارات أصيلة وجديدة في إحدى ميادين الحياة (فن تشكيلي ، شـعر ، صـناعة ، الـخ) (جـروان ،009 ، ص3') ، أن الإبداع الفني معالجة بارعة لوسيط من أجل تحقيق هدف ما وا فنان المبدع يتمتع بتكوين عقلي متفرد وقدرات تخيلية وانفعالية خاصة (جروان 009 ، ص 18) ، الإبداع الفني لا يتعلق بشخص المبدع فقـط لكنـه إنتاج تراكمات ثقافية ومعرفية اشتركت في تجميعها البيئة المجتمعية بما تحتوي من عوامل المكان والزمان والتكنولوجيا والاقتصاد والأ دلوجية والدين والمعتقدات ، فالإبداع هو نوع من النبوغ العقلي أو هو مجموعة من القـدرات العقليـة المتداخلة كالطلاقة والمرونة والأصالة ولا يمكن الفصل بينها فهي متداخلة فيما بينها فالواحد منهـا يتطلـب وجـود الآخر (إسماعيل،977 ، ص21) ، أن الفنان الحقيقي في طبيعته ا ساناً متجدداً أبتكارياً لا يحب التقليـد ولا يخضـع لقانون يحد من قدراته الذاتية وميوله (يوناز 969 ، ص 18) ، وإلا ما امتلك صفة الإبداع والتي أصبحت في الوقـت الحاضر أحدى المقومات الرئيسة للفنان .

لقد اختلفت تعريفات الإبداع باختلاف المدارس الفكرية والاتجا ات الف سف ة ، البعض منها يقول أن الإبداع هو القدرة على إيجاد حلول لمشكلة ما أو أثر فني ، وأخر يرى بأنه أفكار جديدة ومفيدة ، من هنا نجد أن لإبداع ليس إلا رؤية الفرد لظاهرة ما بطريقة جديدة ، وهو يتطلب القدرة على التفكير بشكل مختلف والارتقاء مجموعة معقدة من الـ ملية العقلية عند الفرد المبدع ، وهي تشتمل على الإدراك والتذكر والتفكير والتحليل لتؤدي إلى نتائج جديدة ، أصلية ، ونجد أن جميع تعريفات الإبداع ترده إلي العمليات العقلية ، فإنتاج أي عمل فني يتميز بالصفة الإبداع فهو يحتاج إلى نشاط كلي في وظائف العقل وهذا يعني لا إبداع في غياب العقل البشري أذن لا إبداع في وجود الجنون ، لقد أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة (القياس النفسي للقدرات الإبداعية ، دراسة السيرة الشخصية للمبدعين) في علم النفس الحديث أنه لا صحة للفرضية التي ترى أن المريض العقلي لديه القدرة على الإبداع أو عكس ، على الرغم مما يتسم به بعض المبدعين من غرابة في التصرفات والسلوك ، وعلى الرغم من وجود حالات من القلق والاكتئاب لديهم ، فإن اضطراباتهم هذه لا تصل إلى درجة التشويش الذهني والاضطراب العقلي اللذين نجدهما عادة بين المرضى النفسيين (المجانين) (إبراهيم،002، ص80) ، أن هناك تفاعل وتداخل بين المعاني الخاصة بالجنون باعتباره يشكل نوعاً

معيناً من المرض العقلي وبين الإطار المعرفي المرتبط بالسلوك اللاعقلاني وربما كان هذا هو أحد الأسباب وقفت وراء عمليات الربط بين سلوك المبدع في بعض الأحيان وسلوك المجنون الغريب الشاذ (عبد الحميد،987 ، ص45)، أن الذين كانوا يوصفون بالاضطراب والتوتر النفسي لقد قاموا بالإبداع وعمليات الإنتاج الفني وهم في أحسن حالاتهم الصحية (إبراهيم،002 ، ص84) ، أي في الفترات التي خلت حياتهم فيها نسبيا من الاضطراب والتوتر والمرض ، فالعبقرية الفنية ليست قو ة لا عقلية بل هي فعل مُصير مستنير يحققه عقل ناضج وواعي .

فقد شاع بين العرب في الجاهلية كما في الفكر اليوناني القديم أن لكل شاعر شيطان يلهمه الشعر ومن هنا جاء وصف الشاعر بالمجنون لا على انه مريض عقلياً ولكن على انه يتمتع بقدرة فذة ليست لبشر ، وهكذا وصفوا رسولنا الكريم محمد (ص) في بداية دعوته للإسلام بالجنون كي لا تحدثهم نفسهم الأمارة بالسوء بإتباعه ، قال تعالى اوَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُور) (سورة القلم الآية 1) ، وقال تعالى (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (سورة الذارات الآية 2 ، ونحن ما زلنا نطلق لفظ (مجنون) علي كل ن يخرج عن نطاق مفاهيمنا الثقافية المعرفية والعلمية المحدودة عندما يصعب علينا الإدراك خاصة في مجال الفن التشكيلي ، أن نتائج تجربة المبدع كثيراً ما تتعارض مع الأوضاع التقليدية لموروثة والسائدة وقد تثمر في الغالب تحدياً صارخاً لها لأنه يرى ما لا تراه عيون الآخرون ، ونجد أن المبدعين في المجتمع هم الأكثر سمواً وتفوقاً ولهذا كانت حياتهم أبعد ما تكون عن السطحية والنمطية (أبو زيد ،985 ، ص4) ، أن العلم قد تأخر كثيراً في دراسته لموضو ع الإبداع والفنون والمرض العقلي (الجنون) ، وورث تراثاً مملوءا بالتناقضات الفلسفية والفكرية والتي أعتقد أنها ستظل تسيطر علي أفكار العلماء فترة طويلة من الزمن في المستقبل (إبراهيم،002 ، ص91) ، وما يعد اليوم جنوناً قد يغدو في يوم غداً سلوكاً مقبولاً وقد يوصف بالعقلانية .

أن تطور الدراسات المعاصرة وحرص التفكير العلمي على تجنب التعميم دون توفر الأدلة والبراهين ، وكذلك التطور في حركة القياس النفسي أمكن الوصول إلى عدم صحة الفرضية التي ترى أن المريض العقلي يتسم بالإبداع (الفنون جنون) أو العكس ، أن المبدعين يتميزون بخصائص إيجابية لا نجدها بين العاديين كما لا نجدها بين المرضى النفسيين (المجانين) ، لابد من اتخاذ موقف الحذر من هذه الفكر لأ صفة الانفعالية ربما كانت صحيحة لدى الفنانين الإبداعيين الذين أبدعوا فناً يغلب عليه الطابع الانفعالي ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكو ن قاعدة في فن يسوده التنظيم العقلاني كما يُرى في الفنون والإبداع وفنون النقش والزخرفة العربية التي تعتمد أسساً هندسية وعقلانية (جروان 007 ، ص 63) ، على العموم إن العملية الإبداعية هي عملية ارتقاء ابتكاري خاصة بالتغير الإيجابي من أجل تنظيم الحياة الذاتية والا جتماعية وأن الإبداع الفني لا يأتي من فراغ وإنما هو مرحلة مضنية من الفكر والعلم والمعرفة والثقافة والحس المرهف .

النتائج والمناقشة:

بعد أجراء الدراسة وسرد المعلومات وتحليلها نظرياً اتضح أن موضوع الفنون والجنون يحظى باهتمام عالمي ومحلي نتيجة للربط ما بين ضروب الفن جميعها ومن بينها الفن التشكيلي والجنون وخلاصة البحث تشير إلي النتائج التالية :

. لقد ربط بعض علماء النفس الأوائل بين بعض المظاهر الفنية والمرض النفسي (الجنون) لأنهم خلطوا بينه ومفهوم الاستجابة للضغوط النفسية والاجتماعية .

ا . أن الجنون هو ذهاب العقل بينما الفن يتطلب حضور العقل وتوظيفه ، ولا ؤدي انتاج الفنون إلى الجنون بأي حال .

ا . يتسم الفنان المبدع عن غيره من الناس بشخصية لديها حساسية عا ية بالأحداث من حول ا علاقته تفاعلية تبادلية مع المجتمع ، فمن العبث إن نطلب منه إن يكون كغيره من الناس العاديين لأننا عندئذ نقتل إبداعه وروح الفنان المبدع فيه ، فمن الأفضل أن نرقي مستوانا ونهتم بالتشكيل ن المبدعين ونشجعهم لتقديم أفضل ما عندهم بدلاً من نعتهم بالمجانين .

التوصيات:

توصي الدراسة بإجراء المزيد من الدراسات في تفسير بعض سلوكيات الفنان التشكيلي المبدع .

المراجع:

1 ــ القرآن الكريم .

ا ــ إبراهيم ، عبد الستار (002ا م) . الحكمة الضائعة ــ الإبداع والاضطراب النفسي والمجتمع . سلسلة عالم المعرفة . الكويت الكويت.

3 ــ المصري ، أبن منظور الأفريقي (955 م) . لسان العرب . دار صادر . بيروت لبنان.

4 ــ أبو جيب ، سع ي (408 هـــ) . القاموس الفقهي لغة واصطلاحا . دار الفكر . الرياض السعودية.

5 ــ عوض ، عباس محمود (980 م) . مدخل إلي الأسس النفسية . دار المعرفة . بيروت لبنان.

6 ــ بحر العلوم ، عزالدين (400 هـــ) . الحجر وأحكامه في الشريعة الإسلامية . دار الزهراء . بيروت لبنان.

7 ــ كيتيل ، كلود (015ا م) . تاريخ الجنون . ترجمة سارة رجائي وآخرون . مؤسسة هنداوي . القاهرة مصر .

8 ــ إسماعيل ، عزالدين (974) . الأسس الجمالية في النقد العربي . دار الفكر . عمان الأردن.

9 ــ عطية ، محسن محمد (996 م) . الفن وعالم الرمز . دار المعرف . القاهر ة مصر.

10 ــ مجاهد ، مجاهد عبد المنعم (997 م) . فلسفة الفن الجميل . دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة مصر.

11 ــ ديوي ، جون (969 م) . الفن خبرة . ترجمة زكريا إبراهيم . دار النهضة العربية . القاهرة مصر.

12 ــ العطار ، مختار (991 م) . الفن الحديث . الهيئة لمصرية العامة للكتاب . القاهرة مصر.

13 ــ سويف ، مصطفى (981 م) . الأسس النفسية للإبداع الفني . دار المعرف . القاهرة مصر.

14 ــ نظمي ، محمد عزيز (985 م) . الإبداع الفني . مؤسسة شباب الجامعة . الإسكندرية مصر.

5 ــ عبد الحميد ، شاكر (987 م) . العملية الإبداعية في فن التصوير . قباء للطباعة . القاهرة مصر.

6 ــ محمد خير ، مصطفي عبده (999 م) . فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني . مكتبة مدبولي . القاهرة مصر .

7 ــ جروان ، فتحي عبد الرحمن (007ا م) . الموهبة والتفوق والإبداع . دار الفكر . عمان الأردن .

8 ــ خليفة ، . بد اللطيف محمد (000ا م) . الحدس والإبداع . دار غريب . القاهرة مصر.

9 ــ عبد المعطي ، علي (998 م) . الإبداع الفني وتذوق الفنون الجميلة . دار المعرفة . القاهرة مصر .

0 ــ عواض ، نادية عبده (000ا م) . سيكولوج ة الإبداع . د ن . القاهرة مصر .

1 ــ عبيد ، كلود (005ا م) . الفن التشكيلي نقد الإبداع وإبداع النقد . دار الفكر اللبناني . بيروت لبنان .

22 ــ إسماعيل ، زكريا (977 م) . مشكلة الفن ــ سلسلة مشكلات فلسفية 3 . مكتبة مصر . القاهرة مصر.
3ـ ــ جروان ، فتحي عبد الرحمن (009ـ م) . ـلإبداع . دار الفكر . عمان الأردن .
4ـ ــ يو ن ، رمسيس (969 م) . دراسات في الفن . الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة مصر.
5ـ ــ إبراهيم ، ماجد موريس (999 م) . سيكولوجيا القهر الإبداعي . دار الفارابي . بيروت لبنان .

الدوريات:

1 ــ أبو زيد ، أحمد (العدد الرابع 985 م) . الظاهرة الإبداعية . مجلة عالم الفكر المجلد الخامس عشر. الكويت الكويت .